
البخيلة
أحمد شوقي

البخيلة

تأليف
أمير الشعراء أحمد شوقي



البخيلة

أحمد شوقي

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

الترقيم الدولي: ٦ ٠١٠١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٠٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٠.

المحتويات

تمهيد

- **زمن الرواية:** سنة ١٩٠٧
- **مكان الرواية:** القاهرة
- **أشخاص الرواية:**

- **الست نظيفة:** (البخيلة).
- **جمال:** حفيدها.
- **حُسْنَى:** خادمتها.
- **عبد السلام:** طبيب.
- **رشاد:** سمسار.
- **عزيز:** من أبناء الذوات.

الفصل الأول

قهوة «جميل» بميدان «لاظ أوغلي»، «جمال» و«رشاد» على مائدة يتحادثان، وآخرون متفرقون، يدخل صبي القهوة بصينية عليها المطلوب من المشروبات فيناول الزبائن، ويقول: هنا سادة، هنا القرفة، هنا الشاي. ثم ينتقل إلى مائدة «جمال» و«رشاد»، ويقول: خُشاف سيدي، والبانزهير لمن؟[1]

جمال:

البانزهيرُ لي أنا!

رشاد:

وشيشتي يا مصطفى؟

الصبي:

طلبتها يا سيدي

(يمر بائع جرائد مناديًا)

[1] الليمون.

بائع جرائد:

اللوا[2]

رشاد:

الـــــلــــوا تعال يا ولد

البائع:

اقرُوا حديث مصطفى[3] اقرُوا خروج المعتَمدْ[4]

رشاد:

كُرومَرٌ؟ خروجه مـــــتـــــى؟

البائع:

غدًا أو بعد غد

رشاد:

من قال ذاك؟

[2] جريدة «اللواء» التي أسسها الزعيم مصطفى كامل.

[3] الزعيم: مصطفى كامل.

[4] اللورد «كرومر»: المعتمد البريطاني.

البائع (ويمشي):

مصطفى

رشاد:

التفَّت الأفكار حو   ل مصطفى كالقائِد

جمال:

وصارت الأخبار عنـ   ـد باعة الجرائدِ

رشاد:

آمِنْ معي بمصطفى   كفى تعنُّتًا كفى
والـــعـــقـــلاء؟

جمال:

كُلهمو

رشاد:

والأذكياء

جمال:

اشربْهُموا

رشاد:

ما أنت؟

جمال:

لـسـتُ مـنـهـمـو
إنـي أنـا مـع الـبـلـد   إن قام قمتُ أو قعَدْ
لـم يـرنـي فـيـه أحدْ

(اثنان على مائدة يتحادثان عن جمال)

الأول:

تأمل المُكثِر عن إعجابِهِ   بنفسه ينظر في ثيابِهِ
تلفُّت الطاووس في إهابِهِ

الثاني:

لـلـه مـا أظرفَه! يـا لـه فـتـى   قـد أبـدع تـعـالـى شـكـلَـهُ
لـو كـان هـذا ولـدي وواحِـدي   خرجتُ قبل الموت من مالي لهُ

الأول:

من الفتى يا أخي؟

الثاني:

جـــــــــمــــــــــال   هذا الذي يخلُف البخيلهْ
عـلـى الـدكـاكـين والـضـيـاعِ   والثروة الضخمة الجليلهْ

هذا الذي يفترس الأكياسا ولا يرى الأحلام إلا ماسا
فإن صحا شكا لك الإفلاسا
يأخذ من هذا وذاك بالرِّبا يُعطى نحاسًا لِيردَّ ذهبا
وقبل كل شيء فوق ذا

الأول:

وما يقولون؟

الثاني:

عَجَبْ

الأول:

ماذا؟

الثاني:

بلاطُ بيِتها مركَّبٌ على الذهبْ

الأول:

وذاك الآخَرُ من؟

الثاني:

ذاك من السماسرِ
يبيع كل عامر يصيبه وغامرِ
وكم وكم زوَّج أو وطلَّق من حَرائرِ
تلقاه في كل طريـ ـق كالغبارِ السائرِ

مــن قــهــوةٍ لــبــيــرةِ لـمـنـتـدى لـسـامـرِ
ويدفع الشباب في الـ ـوحـولِ والـمـخـاطِـرِ
فـمـن يـدي مـسـلـف إلـي يـدي مـقـامـر
ومـن سـمـوم حـانـة إلـى لُـعـاب عـاهـرِ
لا يُبغض الله ولا رسوله من العبادِ كالمرابين فِئهْ

الأول:

أيّ ربًا يشترطون يا تُرى؟

الثاني:

عشرون أو ما فوق ذلك في المائة
انظر إلى السمسار يسحر الفتى وانظر إلى الغلام كيف استحسنه
عـنـدي ألـفٌ مـا مـلـكـتُ غـيـرهـا مَن لي بها ألفين إن فاتت سنهْ؟

الأول:

عندك ألف أنت؟

الثاني:

ألفٌ ذهبا

الأول:

تريد تعطيها بفاحش الربا؟
إذن لقد كنت تُرائي يا أخي ولـم تـكـن تَـقـواك إلا كَـذِبـا

(جمال يرفع صوته)

جمال:

بِاللهِ مِن ذا الحديثِ دَعْنا　　　وانظر معي هذه الكُرُنْبَهْ

(ينظر إلى رجل وجيه ملفف بالثياب ومعمم ويقول)

ومن يكون الوجيه؟

رشاد:

هـــــــــــــذا　　　مقاول يُكبرون كَسْبَهْ
وكلَّ يومٍ عليه نعلٌ　　　وكل يوم عليه جُبَّه
تراكم المال في يديه　　　من حبةٍ أمس صار قُبَّهْ

جمال:

وما فَتَنَ الحظّ بالكركدنِّ　　　وما أعجب المالَ من سِحنته؟

رشاد:

ومن عجبٍ بعد هذا المشيبِ　　　بَنَى باثنتين على زوجتِه
ورام الزواجَ ببنت النقيبِ؟　　　فما قَبلوه على ثروتِه

جمال:

وما تلك؟ من هي بنت النقيب؟

رشاد:

فتاةٌ هي البدرُ في ليلتِهْ

جمال:

وما بيتُها؟

رشاد:

قَـــصـــرُ آبـــائـــهـــا طويلُ العمادِ عريضُ الغرَفْ

جمال:

وما مالُها؟

رشاد:

الـــقـــصـــرُ عـــنـــوانُـــه أليس القصورُ رموزَ التَّرفْ؟

جمال:

وما سمعةُ البيتِ؟

رشاد:

مـــــاذا تـــــقـــــولُ؟ أما في قديم البيوتِ الشرفْ؟

جمال:

وَلِمْ أبَت الشيخَ وهو الغنيًّ؟

رشاد:

وهل كل ما في الزواج المهورْ؟

وهل يملأ التيسُ عينَ المهاةِ؟ وهل تحمل الكركدنَّ القصورْ؟

جمال:

رشاد أهيَ حلوةٌ؟

رشاد:

وذات قصرٍ، وكفَى

جمال:

ما ضرَّ لو أنِّيَ صا هرتُ الغنى والشرفا؟
أتعرف البنتَ يا رشادُ؟

رشاد:

وأعرف الأمَّ يا جمالُ

جمال:

كيف ومن أين؟

رشاد:

لي ببيتِ النقيبِ من نشأتي اتصالُ
أُمِّيَ كانت إليه تغدو إذ أنا طفلٌ، ولا تزالُ

جمال:

ماذا تَرى رشادُ إن طلبتُها؟ تُرى تَردُّني إذا خطبتُها؟

رشاد:

أصْغِ لي، أنت مثل ما تتمنى «زينبٌ» تجمع الغنى والجمالا

جمال:

الغنى يا رشاد؟ إنك تهذِي

رشاد:

أنا أهذِي؟

جمال:

أجلْ، وتخلِطُ

رشاد:

لا، لا

أنت فوق النقيب دخلًا وَرَيْعًا بعد حين وأنت أكثرُ مالا

جَدَّةٌ تجعل الحديد على الما لِ وتَحمي الأبوابَ والأقفالا

جمال:

لكنها يا صديقي أشدُّ مني ومنكا

رشاد:

صبرًا فَعَمَّا قليلٍ سيُفرِج الله عنكا

جمال:

وجمالي؟

رشاد (ويخرج مرآة):

أفــي جــمــالــك شــكٌّ؟ خذْ تأملْ، انظرهُ في مرآتي
سوف تَسبِي فؤاد زَينب

جمال:

من «زيــ؟
ـــنــب»؟

رشاد:

هذا يا صاحبي اسمُ الفتاةِ

جمال:

رشاد، اسمع، عقدتُ العزمَ فاذ هبْ وأُمُّكَ فاخطبا لي اليومَ زينبْ

رشاد:

إذن أعطني ليرة من حِسابي وبعد غدٍ نلتِقي ها هنا

جمال (يناوله الليرة):

قَبِلتُ فخذْ

رشاد (بعد أن ينظر أمامه):

انـتـظـر يـا جـمـالُ   بربِّكَ فالحظُّ قد أحسنا
فـهـذا أخـو زيـنـبٍ مـقـبـلًا   فسِر حيث شئتَ، ودعني أنا

(يجلس عزيز فيتقدم إليه رشاد)

رشاد:

عزيزُ؟ مَنْ؟ أهلًا أخي   منذ شهورٍ لم أرَكْ

عزيز:

رشادُ أنت ها هنا؟   مَن ذا الذي كان مَعَكْ؟

رشاد:

انظر إلى ثيابِهِ   ولونِها كيف اتحَد
انظر إلى حذائه   من النظافة اتَّقَدْ
والبنطلون مُسْتَوٍ   لم ينكسِرْ، لم ينعقِدْ
أَعِرْنِي السَّمْعَ أَعِرْ   عندي لكم شيءٌ يَسُرْ

عزيز:

ما ذاك؟ هاتِ، ما الخبرْ؟

رشاد:

هذا جمالٌ وحيدُ جَدَّهُ   بخيلةٍ يا عزيزُ، جِلْدَهْ

عزيز:

وعمرُها يا رشادُ؟

رشاد:

يـــــربـــــوُ   على الثمانين

عزيز:

تلك مُدَّهْ
والمال؟

رشاد:

مـا شـئـتَ مـن فـداديـنِ   ومـن بـيـوتٍ ومـن دكـاكـيـنِ
والـذهـب الـصَـبُّ كلَّ نـاحـيـةٍ   في البيتِ، من مُخْبَّأٍ ومدفونِ

عزيز:

والآن ماذا تبتغِي؟

رشاد:

أريدُهُ لِزينبا

عزيز:

وكيف؟ هل يقبلُها؟

رشاد:

كلَّمته فما أبَى
فامض إلى أمِّكَ يا عزيزُ بَلِّغْها النبأْ
لقد وصفتُ القصرَ لِلْـ ـأبلهِ وصفًا عَجَبَا
ولم أزلْ أطرِي له الـ ـجَدَّ وأمدحُ الأبَا
وَأنْعَتُ المجدَ القديـ ـمَ وَأحَلِّي النَّسَبَا
وقلتُ عن أُمِّكَ خَيْـ ـرًا وامتدحتُ زينبا

عزيز:

وقد نسيتَنِي أنا؟

رشاد:

لا. بل أطَلْتُ الكَذِبا

عزيز: وما الذي قلتَ عنّي؟
رشاد:

قُلت: فتى ما أفاقا
بالليل يَغْشَى الملاهِي وبالنهارِ السِّباقا
تسألني عزيزُ رأيي

عزيز:

لِـــــــــــمَ لا؟ ألستَ منذُ زمنِ المهدِ أخا؟

رشاد:

أنتم عزيزُ يا أخي في أزمةٍ ولا يَفُكُّ ضِيقَكُمْ إلا الغِنى
المالُ فيه وحدَهُ خلاصُكم لا بدَّ منه اليومَ أو لا فغدا

عزيز:

أجلْ، بغير المال لا عَيْشَ لنا وكيف؟ من أين يجيءُ؟ أَفْتِنا

رشاد:

مما نخوض فيه منذ ساعةٍ مِن الفتى؛ من موتِ جَدَّةِ الفتى

عزيز:

وما الذي نصنع كي نصيدَهُ لا بـد مــن مَـصــيــدَةٍ

رشاد:

تـــــلــــــك أنــــــا
اسمعْ أخي عزيزُ أنتمُ أسرةٌ لم يبقَ من وجودِها إلا شَفا
قصرُكمو من قِدَمٍ مُهَدَّمٌ قد خاطَ فيه العنكبوتُ وبَنَى
سكنتموه ها هنا وها هنا كالبوم، كل بومتَيْنِ في فَضَا
ملأتموه خدمًا أشداقُهم دائرةٌ على الرغيفِ كالرَّحَا
انظر إلى القصور كيف أصبحتْ لم يبقَ من مقدَّمٍ ولا أغا
احتجب القوم وراء ظلها لا يُسألُ البوابُ إلا قال: لا

عزيز:

كـفـى رشـادُ صِـفـةً   لبؤسِنا، كفى، كفى
ولا تـعـذِّبْ مـهـجـتـي   ولا تـهِـجْ لِـيَ الـبـكـا
وامضِ اجتهدْ رشاد في   تزويج أختي بالفتى
إذا كـان لـهـا أهـلا

رشاد:

ولمْ لا يا أخي؟ لِمْ لا؟
فتى لم يَحْكِه الشبّا   نُ هندامًا ولا شكلا
ولم يُنكرْ له الإخوا   نُ لا ظَرْفًا ولا عقلا
ومن بيتٍ يرى الناس   عليه الخيرَ والنُّبلا
أبـوه كـان إنـسـانًـا

عزيز:

وهذا كله فضلا
عمّا وراء جدَّتِهْ

رشاد:

وعـن عـظـيـمِ ثـروتِـهْ
يـا لـيـتـنـي فـي حـالـتـهْ
اسـمـع عـزيـزُ يـا أخـي   أنـــا وأنـــت لا نَـــرِثْ
أمْلطُ يا رب كما خلقتني   راضٍ على قلَّةِ ما رزقتني

عزيز:

دعنا من الهزل. هلا أخذت في الجدّ ساعة؟
رشادُ أنت صديق ماذا ترى في البضاعة؟
ادخلْ بنا في الجِدِّ يا رشاد متى تراه؟

رشاد:

في غدٍ أراه

عزيز:

لم تقل لي عن الفتى، ما أبوه؟

رشاد:

كان فَخر الرجال، كان مديرا

(ثم لنفسه)

كان والله يسكعُ الصبح والليـ ـل إلى كل حانةٍ سِكّيرا

عزيز:

والفتى، كيف شغلُهُ؟

رشاد:

في الدواوينِ

عزيز:

إذنْ قد نراه يومًا وزيرا

رشاد:

لِمَ لا؟

(ثم لنفسه)

قلتُها ومن أين أدري؟ ربما صار حاجبًا أو خفيرا

(ثم لعزيز)

لا تسلْني ما أبوه يا أخي أو مَن الأم وسَلْ ما جدَّتُهْ
لا ولا ما شغله؟ ما جاهه؟ في الدواوين ولا ما رتبتُهْ
فجمالٌ في غدٍ أو بعدَه بوزيرين تساوي ثروتهْ

(بعد لحظة)

وَلِمْ لا وجدَّتُهُ نملةٌ إذا وقفتْ أو مشتْ حصَّلتْ
وتُدْخل في بيتها ما تُصيبْ ولا يُخرج الدهرُ ما أدخلَتْ
لو انقلبتْ من جميع الجهات على القشِّ في فمها ما انْفَلَتْ
ترى المال في بيتها في اللحافِ وتحتَ البلاطِ وحَشْوَ الشِّلَتْ

عزيز:

عجبتُ يأتي البخيل المالُ وهو يَرى أنَّ البخيلَ إليه غيرُ محتاج
وقَلَّ ما جاء حرًّا ماجدًا ومشى إلى الكريم الكثيرِ الهمِّ والحاجِ

آهِ مـــا أكـــثـــرَ حـــاجِـــي مَـــن بـــحـــاجـــاتـــي أُنـــاجـــي؟
أزمـــةٌ دُرتُ فـــلـــم ألـــ ـــقَ لـــهـــا وجـــهَ انـــفـــراج

رشاد:

عزيزُ أنت مفلسٌ

عزيز:

ما شئتَ في ذاك فَقُلْ

رشاد:

على البلاط يا عزيـ ـزُ كلُّنا ذاك الرجلْ

عزيز:

إذن جمالُ صفقةٌ رابحةٌ لـــنـــا كـــلـــيـــنـــا

رشاد:

قـــد فـــهـــمـــتَ مـــأربـــي
ولستُ أنسى فضلَكم عندي ولا ما طـوَّقَـتْ أمُّـكَ أمَّـي وأبـي

عزيز:

اذهبْ إذنْ رشادُ فاخطبْهُ

رشاد:

لمن؟

عزيز:

لي، ولزينبٍ، وأمّ زينبِ

رشاد:

للأمِّ والابنِ وللبنتِ؟

عزيز:

أجـــــــــــــــــل وكل من مَتَّ لي من نَسَب

رشاد:

أصبتَ يا عزيزُ أنتَ فَطِنٌ

عزيز:

لا، بل هو البؤسُ يفطِّن الغَبِي

رشاد:

وَرُكوبي يا صديقي وذَهـابـي وإيـابـي؟

عزيز:

امض أنفقْ ما تشا واصــ ــبِرْ إلـى يومِ الـحسـابِ

أنـا لـو بـيـع بـفَـلـسٍ لـم يـجـدْ سـوقًـا جِرابـي
كلانا رشادُ على زورقٍ كسيرٍ وموجٍ عنيفٍ شقي
فإن ننجُ بخير المتاع وإلا غرقنا مع الزورقِ

«ثلاثة آخرون جلوس على مائدة بالقهوة»، «أحدهم يقرأ جريدة، والآخران يتحادثان».

الأول:

مَن ذلك الُمطِلُّ من لحيِته كالبغل من وراء مِخلاةٍ رنا

الثاني:

تسألُ عن ذاك الذي انحنَى على صـحـيـفـةٍ يَـقْـرا وولانـا الـقَـفـا؟

الأول:

أجل، أجل هذا القفا

الثاني:

هذا هو الدكتور

الأول:

مَن؟

الثاني:

عـبـدُ الـسـلام مُـرتـضَـى
يقرأ ما صادف من جريدةٍ من سطرها الأول حتى المُنتَهَى
وتستوِي صُحْفُ الصباحِ عنده وصُحُفٌ ظهرنَ من عامٍ مضى
تذاكرُ الدفنِ التي يكتبها في الشهر أضعافُ تذاكرِ الدَّوا
وعـيـبـه الـبـخـلُ

الأول:

فيه بخلٌ؟

الثاني:

أبخلُ من جارَتي نظيفه

الأول:

من يا أخي هذه؟

الثاني:

عـجـوزٌ في «الخط» من أسرة شريفهْ
ليس لها في الحياة إلا عبادةُ المالِ من وظيفهْ
حتى لقد صارت حديثَ الحارهْ وضحكَ الجارِ وسُخْرَ الجارهْ
كلُّهمو يحسدها بمالِها ويتمنى حاله كحالِها
وهكذا الأنفس في ضلالِها

الأول:

ما غناها يا أخي؟

الثاني:

أكـثرُ هذا الخُطِّ مالا

الأول:

ومن الوارث إن ماتت

الثاني:

فتى يُدعَى جمالا

الأول:

وذلك الدكتورُ؟

الثاني:

هـــــذا «مـــــادرٌ»[٥] الجوعُ يا أخي ولا الأكلُ معَهْ
لـقـد دعـانـي لـلـغَـداء مـرَّةً فَقَسَّم البيضة بين أربعَهْ
وجِـــيءَ بـــالـــشـــواءِ

[٥] أبخل العرب، ويُضرب به المثل في البخل.

الأول: قلْ ماذا جرى؟
الثاني:

أوْمَا إلى خادمه أن يرفعَهْ

رأى فيه عيبًا وإن لم نجدْ على اللحم عيبًا سوى قِلَّتِهْ
فقد كان أنضجَ لحمٍ رأيتُ وقد كان كالمِسكِ في نكهتِهْ
ومن بخلِهِ تُفتحُ القهواتُ وتُغلقُ، وهو على «شيشتِهْ»
يُقَضِّي بها طَرَفَيْ يومه ويُمضي بها طرفَيْ ليلتِهْ

الأول:

ومرضاهُ؟

الثاني:

يلقاهمو في الطريـ ـق حينًا، وحينًا على قهوتِهْ

(غلام يدخل القهوة صائحًا)

الغلام:

أين هو الدكتور؟

أحدهما:

ذاك

الغلام (للدكتور):

سيِّدِي أخي سَقَطْ
تحت الترام

الدكتور:

فـــلـــيــــكـــن   أو تحت وابور الزَلَط
فما الذي أصَابهُ؟

الغلام:

انفلَقَ الرأسُ

الدكتور:

فــــــقــــــــطْ؟
هـيَّا ولـو أنِّـي مـا   عالجت في الشارع قَطْ

الغلام:

الله في عونِ الجريـ   ـح منكَ جرَّاحَ القِطط

الفصل الثاني

(في منزل السيدة نظيفة) «حجرة بها دكة عليها شلتة ومخدات ثلاث — السيدة نظيفة تلبس جلابية من الشاش الأبيض، ومتعصبة بمنديل، وفي رجلها القبقاب»

نظيفة (تتكلم وحدها في الحجرة):

منزلي حولي نظيفٌ	وأنا الست نظيفهْ
وبلاطي ذاك أنقى	بكثير من صحيفهْ
كل ما كلَّفني ما	ءٌ وصابونٌ وليفهْ
لا بساطٌ لا كليمٌ	لا حريرٌ لا قطيفهْ
غير هذي الخشبات الـ	ـخيزُراناتِ الخفيفهْ
ليس بيتي كبيوت الـ	ـناس أحمالًا كثيفهْ
أنا بيتي في الهواء الطَّـ	ـلْقِ والشمس اللطيفهْ
ودكتي تلك أغلى	لديَّ من ألف صفَّهْ
كم مال زوجي عليها	وكان يقطر خفَّهْ
جلستُ فيها عروسًا	واليوم إذ أنا قُفَّهْ

(بعد أن ترى «حُسنَى» الخادمة داخلة عليها وبيدها شيء)

تعالَيْ يا ابنتي جيئي بماذا جئتني «حُسنَى؟»

حُسنَى:

لقد جئتُ بفنجانٍ

نظيفة:

خُذيهِ جرِّبي البُنَّا
وهذا شُبُكي[١] هاتي

حُسنَى:

أجل بالعود[٢] قد جيتُ
وفي الكيس مع الدخا نِ زَنْدانِ[٣] وكبريتُ

نظيفة:

سلمتْ حُسنَى يداكِ

حُسنَى:

أنا مولاتي فِداكِ
والآن هل آخذ خَرْجَ[٤] النهار

[١] أداة التدخين.

[٢] عود البخور.

[٣] مثنى «زَنْد»، وهو ما تقدح به النار.

[٤] ما تخرجه «نظيفة» عادة من مواد لإعداد الطعام.

نظيفة:

امضِي خذيه إنه في «الكرار»

حُسنَى:

هيَّأتِه سيدتي؟

نظيفة:

أجل

حُسنَى:

وما أخرجتِ لِي؟

نظيفة:

رأسٌ من الثومِ وخمــ ــسٌ من صغارِ البصلِ

حُسنَى:

والسمن مولاتي تُرى؟

نظيفة:

كأمسِ، لَمْ أُقَلِّل
أوقـــــيـــــةٌ

حُسنَى:

والأرز؟

نظيفة:

لا لا يدخلنَّ منزلي
لقد غلا سعرًا ولا يُعجبني السعرُ الغَلِي

حُسنَى:

ليتك بالزيت افتكر تِ والدقيقِ والعسلْ

نظيفة:

ولِمَ يا حسنى أرا كِ اليومَ عادَك الخَبَلْ؟
نسيتِ أنَّ ها هنا وتحت هذي الكَنبهْ
العشراتِ من قديـ ـمِ الكعك والغُرَيِّبَهْ؟

حُسنَى:

لمْ أنْسَ يا سيدتي

نظيفة:

أنت إذنْ مخرِّبَهْ؟

حُسنَى:

قد اشتهيتُ لقمةَ القاضي

نظيفة:

اشــتــهــتــكِ عــقــربَــهْ
ومـا الـذي اشـتـريـت يـا «حُسنَى» لنا من الخضَرْ؟

حُسنَى:

«الباميا» كأنها الزُّ مرُّدُ الخامُ الحجَرْ

نظيفة:

«الـبـامـيـا»؟ مـنـذ مـتـى هذا الخضارُ قد ظهرْ؟

حُسنَى:

جديدة. قلت: عسى سـيـدتـي بـهـا تُسَرْ
نادَى المنادونَ عليــ ــها منذ أسبوعٍ عَبَرْ
ترفلُ في شوكتِها وفي شبابها النَّضِرْ

نظيفة:

أجـل لـقـد أكـلـتُـهـا في منزل الشيخ «عمرْ»
كالذهب الإبريزِ والــ ــثومُ عليـها كالدررْ

حُسنَى:

واليومَ تأكلينها

نظيفة:

أمرَّ من طعم الصَّبْر
اشـتُـرِيَـتْ غـالـيـةً مثلَ البواكيرِ الأُخَرْ

حُسنَى:

هدية تلك

نظيفة:

ومِمَّنْ؟

حُسنَى:

مِن قريبٍ لي حضَرْ

نظيفة:

من أين جاء؟ ومتى؟

حُسنَى:

من الصعيد قد بَكَرْ

نظيفة:

وبِـمْ تُـرى جَـزَيْـتِـهِ؟ بـقبلـةٍ مستـعجلـهْ؟
امضي فتاتي واطبخي «دقـيّـة» مـكـمّـلَـهْ
كـأنـهـا خـلـيَّـةٌ من عـسـلٍ محمَّلَهْ
والـثوم فـيـهـا لـؤلـؤٌ وهـي بـه مـكـلَّـلَـهْ

والــــعــــظــــم ...

حسنى:

واللحم ...

نظيفة:

احــــــــــذَري يُتعبني أن آكُلَهْ

حسنى:

اللـحـم يـا سـيـدتـي في «الباميا» ما أسهلَهْ

نظيفة:

«حُسنَى» انظري

حُسنَى:

سيدتي

نظيفة:

على البلاط وَسَخ

حُسنَى:

الآن أغـسـلِ الـبـلا طَ ثم أمضِي أطبخُ

(تنسل السيدة إلى حجرتها ... يدخل جمال)

جمال:

حُسنَى

حُسنَى:

جمالُ سيدي؟

جمال:

أنتِ هنا؟

حُسنَى:

أنتَ هنا؟

جمال:

ما تصنعين؟

حُسنَى:

صنعتي الـ ـيومَ وصنعتي غدا
على البلاط أنحني أغسله كما ترى

جمال:

يا رب لِمْ خلقتَ للـ ـعذابِ هذه اليَدا؟

حُسنَى:

لا..لا عذاب سيدي إني أحب العملا

جمال:

وأين جدتي فإ نِّي لا أراها ها هنا

حُسنَى:

أظنها مضتْ تصلِّـ ـي فِي الخِزانةِ الضحى

جمال:

لله أو للمال يا حُسنَى تُرى؟

حُسنَى:

كما تشا
ما لي وما تعملُهُ؟ لكلِّ عبد ما نَوَى

جمال (لنفسه وقد رأى كيسًا على الدكة):

ما ذاك تحتيَ ... كيسٌ؟ بُشراىَ، هذا جرابُ
أعامرٌ ليت شعري جرابُها أم خرابُ؟
كيسٌ؟ أجلٌ كيسٌ وحُسـ ـنَي لا ترى ... لا تسمعُ

(ثم يقبله)

كيس وفيه ذهبٌ آخُذُهُ أم أدَعُ؟

(يتركه مترددًا)

لا ... لا ... ألصٌّ أنا؟ لا   ليت يدي تَنقطِعُ

(يتناوله)

لننظرْ ما حوى الكيسُ

(يفتحه ويعد ما فيه)

جنيهان ... ريالانِ
وهذا فصٌّ ياقوتٍ   وذي سُبحةُ مَرجانِ

(يخرج ما في جيبه)

لننظرُ ما حوى جيبي   أقرشان ونصفانِ؟
حرامٌ شدة البخل   حرامٌ طولُ حرماني

(يرد نقوده، وينظر إلى الكيس)

فإن مددتُ نحو كيسها اليدا   سرقتُ نفسي ما سرقتُ أحدا
ولا أرى سارقَ نفسه اعتدَى
لا يا جمالٌ ... ما رأى   رأيَكَ في الناس أحدْ
من قال مالُ الوالديـ   ـنِ مُستباحٌ للولدْ؟

حُسنَى (وقد نظرت إليه خلسة فرأته، وهو يسرق):

يا أسفا على جمالٍ ما صنعْ؟ جاء إلى الكيس مرارًا ورجَعْ
حام عليه برهةً ثم وقعْ

(لنفسها)

ويحَ جمالٍ جَرؤتْ على الحرام راحتُهْ
ما كان لصًّا إنما جَنَت عليه جدَّتُهْ

جمال (يدس الكيس في جيبه):

ولِمَ لا؟ والمال مالي بعدَها وإنَ تصرفت بمالي وحدَها
وديعتي حتى تموتَ عندَها

(يخرج مسرعًا)

حُسنَى:

يا ألفَ ويلي على جمالٍ انسلَّ كاللصِّ في الظلامِ
الفقر والبخل صيَّراه من ابن بيتٍ إلى «حرامي»
هو لصٌّ وسارقٌ غيرَ أني أُحبُّهُ
حرمتُه القليلَ من حقِّهِ ... أين ذنُبهُ؟
إني بعيني هذه رأيتُه مرددا
لما أحسَّ المال جُـ ـنَّ وأضاع الرَّشدا
على الضمير والعفا فِ والحجا تعوَّدا
لو ملأتْ جدَّتهْ يديه ما مَدَّ اليدا

(ثم تسمع ضجة فتقول)

قد رن في الحجرة قبقابها صلَّتْ وعادت من مُصلاها
وما درتْ وهي تصلِّي الضحى أنَّ جمالًا من ضحاياها

(تدخل السيدة نظيفة بدون أن ترى «حُسنَى») (فتقول حُسنَى لنفسها)

تسرع نحو كيسها لم تَرَني ... فلننتظرْ
ماذا تُرى تفعل؟ هل تبكي دمًا أم تنتحرْ؟

نظيفة (لنفسها):

كِيسي كان ها هنا من ساعةٍ ... شيءٌ عجبْ!
من يا تُرى طَيَّرَهُ؟ كيف اختفى؟ أين ذهبْ؟
فيه ريالان وفيـ ـهِ قطعتان من ذهبْ
وضعتُه هنا وغبـ ـتُ عنه ... ليت لم أغبْ
كِيسِي حبيبي أين أنـ ـتَ؟ كيف ألقاك؟ أجِبْ!
كِيسيَ ... يا رب أعدْ لي كيسِي وخذه لي يا رب من إبليسِ
وكلِّ لص فاجر خسيسِ
إن عدتَ لي فشمعةٌ للحنفي أو شمعتانْ
قرش يعود لي به من القروش مائتانْ
وشمعةٌ للسيدهْ توضعُ في مسجدِها
تبيت فيه مُوقدَهْ بالقرب من مَرقدِها
لا، أنا في فقرٍ إلى شمعةٍ سيدتي «زينبُ» بِي عالمهْ
ولم يَرَ الناس ولم يسمعوا سيدةً تأخذ من خادمهْ

(ثم بعد أن ترى «حُسنَى»)

نظيفة:

حُسنَى

حُسنَى:

مُرِي

نظيفة:

أنتِ هنا؟

حُسنَى:

أجلْ

نظيفة:

تعالَي اسمعِي
خلِّي البلاطَ

حُسنَى:

ما جرَى؟

نظيفة:

دعِيه سَاعةً دعِي

حُسنَى:

ماذا جرى سيدتي؟

نظيفة:

ما لم أكُنْ أنتظِرُ
مصيبةٌ فاجعةٌ

حُسنَى:

ماذا دهَى؟ ما الخبَرُ؟

نظيفة:

كيسِي كان ها هنا طـيَّـره الـمُـطَـيِّـرُ

حُسنَى:

ما كان فيه؟

نظيفة:

ذهبٌ وسُبحةٌ وجوهرُ

حُسنَى:

وهل ظننتِ السوءَ بي سيدتي؟

نظيفة:

أستغفر الله ابنتي أستغفرُ

«حُسنَى» ابنتي خادمتي تسرقني؟ ذلك ما ليس ببالي يخطرُ

في ذمةِ الله كيسِي عوّضني الله عنهُ

واللصُّ لا بد يومًا يقتصُّ لي الله منهُ

حُسنَى:

سيدتي مسرفةٌ سيدتي مضيّعَهْ

إن الجرابَ لم يكنْ هذا المكانُ موضعَهْ

نظيفة:

اذهبي يا ابنتي عرفتُ غريمي أنت لا تجهلينه فهو منّا

حُسنَى:

مَن تُرى؟ مَن؟

نظيفة:

سلي ضميرَك عنه أنتِ منه مُلئتِ قلبًا وذهنًا

حُسنَى:

مَن؟

نظيفة:

جمالٌ

حُسنَى:

ماذا تقولين يا مولاتي؟

نظيفة:

الصدق

حُسنَى:

بــل تــظــنِّــيــنَ ظــنًّــا
مَن؟ جمالٌ؟ هذا محالٌ فَظُنِّي بِــــي أنـــــا الـــــســـــوءَ

نظيفة:

أنتِ؟ حاشاكِ «حُسنَى»

حُسنَى:

إذن مَن؟ قِطةٌ في البيــ ــتِ لمَّا لَمْ تجدْ لحمَا
مضت بالكيس ظَنَّتْهُ هو الجلدَ أو العظما؟

نظيفة (مستضحكة):

امــضــي اذهــبــي يــا خَــبــاثْ يــا نــكــبــةٌ فــي الإنـــاثْ
أوشكتْ تدخلُ الضحى ... البَسي الفو طَة «حُسنَى» طِيري إلى الكانونِ
واحذري الطَّبخ أن يشيطَ وسُدِّي الــ ــبابَ دون الأنوفِ ... دون العيونِ

حُسنَى:

سيدتي ها أنا ذِي ذاهـبـةٌ لـشـانِـيـا
انتظريِني ساعةً ثم انظُرِي طعاميا

(تخرج)

نظيفة (لنفسها):

قــد ذهــبــتْ لــشـــأنـــهـــا الـــيـــوم يـــومُ «الـــبـــامـــيـــا»
«حُسنَى» اذهبي إني لفي شكٍّ وإن أظـهـرتُ أنّـي بـكِ جِـدُّ واثـقـهْ
قد سُرِقَ الكيسُ وما من أحدٍ سواكِ في البيت فأنتِ السارقَهْ
ولـــــكـــــنـــــي أداريـــــكِ فَـــأخْـــفِـــى خـــبـــرَ الـــبـــئـــر
وكـــم ســـيـــدةٍ قـــيَّـــــدَهـــا الـــخـــادمُ بـــالـــســـرِّ

(جمال يدخل)

مَن؟

جمال:

جدتي.. هذا أنا

نظيفة:

مَن؟ وَلَدِي جمالُ؟

جمال:

ما صنعَ الزكامُ يا جـــــــــــــــدة؟

نظيفة:

لا يـــــــــزالُ

وأنت ما تصنع يا جمالُ؟ كيف الحالُ؟

جمال:

الحال يا جدَّهْ زفتٌ وقطرانْ

نظيفة:

كيف؟ انفُضِ الجيب فـيـه جـنـيـهـانْ

جمال:

أنا؟ جنيهانِ؟ ومن أين له؟ جيبي حتى من ريالين خَلا

جـــــــــــــــــــــــدةُ

نظيفة:

روحــي.. تـكـلَّـمْ ماذا؟ فداكَ البَنونا

جمال:

أقول لكن عدِيِني جدةُ لا تغضبينا

نظيفة:

إلا النقود فإنني حلفتُ أمسِ يَمينا

جمال:

إذن امضي كما جئتُ إذن لا شيءَ يا جدهْ
على أنَّي لم أظفرْ بشيءٍ منكِ من مدَّهْ

نظيفة:

والثلاثون ريالا؟

جمال:

قد مضى شهرٌ عليها
تلك شمَّتْها يدُ النـ ـشالِ فانسلَّتْ إليها

نظيفة:

لا حَرَمَ الله اللصوصَ خيرَكا ما بالهم لا يسرقون غيرَكا
لم تَلْقَنِي وتنصرفْ بمالي إلا وعادتْ قصةُ النَّشالِ
كأن مالي ليس بالحلالِ

جمال:

لم أقلْ مالُكِ يا جـ ـدَّةُ سُحْتٌ أو حرامْ
فلقد يُسرق مالُ اللـ ـه والبيتُ الحرامْ

نظيفة:

العينُ يا جمالُ

جمال:

لا تـــــقــــولـــــي فما إلى مالِك من سبيلِ
لعين حاسدٍ ولا فُضولي
مالُكِ في اللحافِ والمنديلِ
مالُكِ في القفَّةِ والزنبيلِ
وتحت ماءِ البئرِ في برميلِ

نظيفة:

في البئر؟ إنَّ ذا عجب ماذا تصوغ من كذِبْ؟

(في اضطراب)

جمال لا تَنْسَ الأدَبْ
في البئرِ يا ابِني؟ هذه ما خـطـرتْ بـبـالـي
لِمْ لا تقول المالُ قد خبَّأتُ في سِروالي؟
لكن هَبوني قد فعلـ ـتُ ما لَكم ومالي؟
ألستُ يا ابنِي حرَّةْ بـصـيـرةً بـمـالـي؟
أصنعُ ما شئتُ به أصـنـع ما بـدا لـي

جمال:

هَـوِّنـي جـدتـي عـلـيك فـإنـي لـم أنـازعـكِ هـذه الـحـريَّـهْ
خبِّئِي المالَ حيث شئتِ من المنـ ـزلِ في السقفِ أو وراء حَنِيَّهْ

ادفنيه في مطبخ أو كرارٍ أو لحافٍ أو شلتةٍ أو حَشِيَّهْ
أو فَوارِيهِ في قَرارةِ بئرٍ ذاتِ عمقٍ عن الظنونِ خفيَّهْ
جدتي هذا كثيرٌ ما الثلاثون ريالا؟
هي يا جدة ليست عند أمثالي مالا
لا يمينًا ملأتْ يومًا ولا أغنتْ شِمالا

نظيفة:

عند أمثالك؟

جمال:

إي واللهِ

نظيفة:

ما أنتم رجالا
هي تَبنِي ثروةَ المرءِ إذا كانت حلالا
اسمع جمالُ

جمال:

سامعٌ يا جدتي

نظيفة:

جَدُّكَ يا بُنَيَّ كان مُفلِسا

جمال:

مثِليَ يا جدةُ؟

نظيفة:

لا يـــــا ولـــــــدي بل كان أشقى حالةً وأتعَسا
أسَّسَ من شروي نقيرٍ ثروةً

جمال:

لم تذكُري جدةُ كيف أسَّسَا
ألم يكنْ سكناهُ رَبْعًا دارِسا؟ ألم يكن طعامه المدمَّسَا؟
ألم يكنْ على البلاطِ نومُهُ؟ ألم يُحَرِّمْ نَفسَه أن تَلبسا

نظيفة:

ومَن نبَّأكَ؟ أو مَن ذا رأى جدَّكَ عُريانا؟

جمال:

هَـبـيـهـم لـم يُـنَـبُّـونِـي كـفـانـي بـك عـنـوانـا
جدتي ما رأيت قطُّ على جسـ ـمِكِ مُذْ كُنْتُ غير هذي الثياب
بـدِّلـي ثـوبـك الـقـديـم أهـذا كفـنٌ يُرتـدَي ليـومِ الـحسـابِ؟
وعلى الرأس ذلك الشاش و(الأو يَـةُ) مَـلا تَـطَـاوُلَ الأحـقـابِ
قد عفا رقعتيهما النشر والطـ ـيُّ وطولُ المدَى وطولُ الخِضابِ
لَـم يَـر الـنـاظـرونَ رجـلـيكِ إلا كصبـيٍّ الـحمَّـامِ فـي الـقبـقـاب

نظيفة:

قد توقّحْتَ يا جمالُ

جمال:

دعـــــــيـــــــــنـــــــــي اتركيـني (أفشُّ) جدةُ ما بي
والدي مات في الشباب من الحِر مـانِ والـيومَ تـقـتلـين شبـابـي

نظيفة:

لا تـذكِّـرْنِـيَ الـعـزيـز جـمـالُ وَدَعِ الجرحَ، لا تحرِّكْ مُصابي

جمال:

اقتليني كوالدي

نظيفة:

بَـــــعُـــــدَ الــــشــــــرُّ بل اسلمْ وحُطَّني في التراب
إن يا ابني الجراب والمالُ فيه لكَ

جمال:

مَن لي ببعض ما في الجراب؟
ما انتفاعي به؟ كُلِيه ... اشربيه بـعـد مـا آذن الـصِّـبَا بـذهـابِ

(تغرورق عيناه بالدمع)

اصـفـحـي جدةُ عـمـا كان مني واغْفرِي لي

وَائْذَنِي أيتها الجـ ـدَّةُ أمضِي لسبيلي

نظيفة:

لقد نسيتُ يا جما لُ وطويتُ ما جَرى
والآن أدعـــــوكَ

جمال:

لماذا؟

نظيفة:

للغَداء، ما تَرى؟
ابقَ جمالُ نقتسِمْ لونًا جديدًا غاليًا
ابقَ بنيَّ كُلْ معي اليومَ عندي «باميا»

جمال:

«الباميا» جديدةٌ؟ من قال يا جدَّتِيا؟

نظيفة:

أَكَلْتَها؟

جمال:

أجـل مـرارًا عند أصدقائيا

نظيفة:

في «الباميا» خَلِّ الطها ـ ـ ـةَ وخُــذ الــطَّــواهِــيــا
وطبخُ «حُسنَى» يحفظَ الشَّـ ـ ـــبــابَ والــعَــوافــيــا
اجــلــسْ جــمــالُ ســاعــةً ونــاجــنــي بــحــاجــتِــكْ

جمال:

ماذا أقول جدتي؟

نظيفة:

قلْ ما تَشَا لجدَّتِكْ

جمال:

أنا يا جدتي كبرتُ ولا أطلب إلا الزواج

نظيفة:

عندي صبيَّةٌ لكَ

جمال:

الخادمُ؟ لا، كم قلتُ لا

نظيفة:

لا تَدْعُ «حُسنَى» خادمًا

جمال:

ابنةُ من؟

نظيفة:

بنتي أنا

جمال:

لـقـيـطـةٌ ربَّيْتِـهـا أنت، أليس هكذا؟

نظيفة:

تذاكَرنا الزواج تعالَ ننظرْ زواجَكَ كم يكلِّف يا جمالُ

جمال:

قليلًا جدتي

نظيفة:

كم؟

جمال:

نصف ألفٍ

نظيفة:

أعندك ما لنصف الألفِ بالُ؟

(لنفسها)

مآتم مصرَ لا يُبقي عليها ولا يُبقي على الأفراح مالُ

(ثم إلى جمال)

اشرحْ جمالُ ما يكونُ المهرُ

جمال:

عُدِّيه مِيَهْ

نظيفة:

من الجنيهات؟

جمال:

أجـــــــــــل ليست ريالات هِيَهْ
و«شبكة» تصلح أن تُهدَى وأنتِ المُهْدِيَهْ

نظيفة:

وكم تُساوي؟

جمال:

مئةً؟

نظيفة: أُخرِجُها من مالِيَهْ؟

جمال:

ومئةً كِراءَ بيـ ـتٍ للعروس ولِيَهْ
نـمـلـؤه أمـتـعـةً وحـلـيـة وآنـيَـهْ
ومـئـةً لـفَـرَحِـي ومـئَـة لـجـيـبـيَـهْ

نظيفة:

واحيرتي! واضيعتي! «جمالُ» وا خرَابيَهْ
إنْ أنا زوجتكَ يا ابـ ـنِي بعتُ ما ورائيهْ

جمال:

إذن فاعلمي جدتي أنني خـــــطــــــبـــــتُ

نظيفة:

وما لِي ومَن تخطبُ؟
أحــقًّــا خــطــبــتَ؟

جمال:

أجل جدتي

نظيفة:

ومن تلك؟ ما بيتها؟ ما الأبُ؟

جمال:

فتاةٌ من «الخُط» بنت النقيبِ

نظيفة:

بلا والدٍ واسمها «زينبُ»
هنيئًا لك البيتُ بيتُ العفافِ

جمال:

وبيتُ الِغنى، والغنى يُطلبُ

نظيفة:

أأنتَ تعرِّفُني من تكون وما مالُها؟ إنها تكذِبُ
لأنت أسعدُ منها وأنت أكثر مالا

جمال:

أنا؟ انظري ذاك جيبي هل تُبصرين ريالا؟

نظيفة:

بل تلك «حُسنَى» فتاتي أتمُّ منها جمالا
وربما صارت على فقرها أكثرَ منها في غدٍ مالا
وكيف وجدتَ المالَ يا ابني؟

جمال:

اقترضتُهُ

نظيفة:

وممن وكم يا ابني وكيف رِباه؟
ومـن أيـن تَـقـضِـي الـديـنَ؟

جمال:

يـــقـــضِـــيـــه قـــادرٌ على الشيء لا يَقْضِي الديونَ سواهُ

نظيفة:

ازعق «جمالُ» نادِ «حُسنَى» ادْعُها

(ثم تنادي)

يا بنتُ

جمال:

حُسنَى

نظيفة:

بنتُ

حُسنَى (تدخل):

مولاتي

نظيفة:

عندي «جمالُ» يتغدَّى معي هاتي حديثَ «الباميا» هاتي

حُسنَى:

سوف ترى يا سيدي صَنعتي وسوف تنسى «كفتة الحاتي»

نظيفة:

حُسنَى بذلتِ كثيرًا وما رَفقتِ بمالي
أكـفـتـةٌ بـيـمـيـنٍ وبـامِـيـا بـشِـمـال

حُسنَى:

سيدتي لا تغضبي لا لَحم في الـ ـمـطـبـخِ لا كـفـتـةَ لا كـبـابـا
الـعـظـمُ لا غـيـرَ مـلأتُ «الـبـامِـيـا» مـنـه ... فـطـابـت نـكـهـةً وطـابـا

نظيفة:

يَسلمُ فُوكِ يا ابنتي

(ثم لجمال)

اســـــمــــــع لـــــهـــــا «جمالُ» كيف تُحسنُ الجوابا

جمال:

جدتي هل فَكَّرْتِ في أمرِ «حُسنَى»؟

نظيفة:

كيف؟ ماذا؟

جمال:

كما افتكرتِ بأمري
زوجـــيـــهـــا

نظيفة:

أزوِّجُ البنتَ؟

حُسنَى:

لا، لا سيدي، ذاك لم يَمُرَّ بفكري
أنتَ يا سيدي «جمالُ» كثير الـ ـمَزْحِ فاجعلْ مَحَلَّ مزحكَ غيري
أنا لا أقبل الزواج بإنسا نٍ ولو ساق مالَ قارونَ مهري
أنا ما عشت لا أفارق هذا الـ ـبيتَ إلا إلى قَرارةِ قبري

نظيفة:

عشتِ «حُسنَى»

(ثم لجمال)

سَـمـعـت كـيـف أجـابـت؟ كيف لم تنسَ حناني وبِرِّي؟

(وتهم السيدة نظيفة بالوقوف)

جمال:

أين يا جدة تمضينَ

نظيفة:

قريبًا ... خُطوتَيْنْ
أنا قد خبَّأتُ أمسِ لك يا ابني مَوزتَيْنْ

(تمشي وتخرج)

جمال (لحُسنَى):

بَعُدَتْ جدتي تعالَيْ أقبِّلْـ ـكِ تعالَيْ حبيبتي قبِّليني

حُسنَى:

بعُدَتْ فليكنْ عفافي وديني حول عِرضي لا يُبعِدُ الله ديني
إن أكن خادمًا فنفسيَ في خِد رٍ من النبلِ والعفافِ مَصونِ
ابغِ يا سيدي سواي لما تد عو له اليوم من خسيسٍ ودُونِ

جمال:

هيّا حُسنَى لا يذهب الوقتُ

حُسنَى:

دعـــــــــــــــنِـــــــــــــــي وقتُ مثلي بجانب الكانونِ

جمال:

قبلةٌ ها هنا على الجيدِ «حُسنَى» أو على الوجنتين أو في الجبين

حُسنَى:

ما الذي قلتَ يا جمالُ؟

جمال:

طلَبتُ الحقَّ

حُسنَى:

حـقّ الـمـهـوِّسِ الـمـجـنـون
لكَ يا سيدي جمالُ شئونٌ فامضِ فيها وخلِّني وشئوني

جمال:

إلى أين؟ قفي «حُسنَى»

حُسنَى:

إلـى الـكـانـون والـنـار
إلى الشغل الذي يَنهى عـن الـريـبـةِ والـعـار

(وتمشي ... السيدة نظيفة تدخل)

نظيفة:

جمالُ يا ابني

جمال:

جدتي

نظيفة (لحُسنَى)**:**

مالكِ تَرجعينا

الموزتان يا جما   لُ صارتا عجينا

جمال:

ألقيهما يا جدتي ألـ   ـقِي العَفَنَ النَّتينا

نظيفة:

اشربْهما يا ابني عسى   أن يُورثاك لينا

جمال:

أنا يا جدة لا أقـ   ـوى على هذا العلاجْ

إن في البيت دجاجًا   فاطرحيهِ للدجاجْ

الفصل الثالث

المنظر الأول

«الست نظيفة على فراش في قاعة من منزلها، وحولها «حُسنَى» وجماعة جئن للسؤال عنها من الجارات».

زائرة (وهي داخلة)**:** العوافِي أمَّ الأفندي العوافي
حُسنَى: اخفِضي الصوتَ.. أمسِكي يا خالهْ
الزائرة: ما لها؟ ما بها؟ عفا الله عنها
حُسنَى: هي من ليلتين في شرِّ حالهْ
زائرة:

أمُّ الأفندي عوفَيتْ	من قلبها تحبني
ما كان أندَى يدها	على الفقير والغني
شفاها الله للبيتِ	وللجارِ وللجارهْ
جرى إحسانها كالسيـ	ـلِ حتى أغرق الحارهْ
قد وقعتْ عيني عليها	مرَّة في «السيدهْ»

أخرى: فما رأيتِ؟

الأولى:

نـــــــــخـــــــــوةً وكــرمًــا مــا أزيــدَهْ
جاءت وراحت تُقْرِضُ اللــ ــه وتُـعـطـي مـسـجـدَهْ
وكـلـمـا مَـدَّ فـقـيــ ـــــــرٌ يـــــــدَهُ

الثانية:

عــــضـــــت يـــــده
يا أختُ أين المدحُ العَطِرْ؟ وأين جُودها الذي كان المطرْ؟

الأولى (لحُسنَى): انظري خلْفكِ «حُسنَى»
حُسنَى: مَن؟
الأولى: هي الشيخة «بنبهْ»

(الشيخة بنبه تتقدم)

بنبه: كيف حال الهانم اليوم؟
حُسنَى: انظِري، الحالةُ صعبهْ
إحدى الزائرات:

«حُسنَى» اطرَحِي الغمَّ ولا تـسـتـسـلـمـي إلـى الـكَدَرْ
رأيـــت رؤيـــا أمـــسِ

أخرى: ما ذلك
حُسنَى: خيرًا، ما الخبَرْ؟
الزائرة:

رأيتني فوق طريــ ـق فيه طينٌ ومطرْ
مشتْ به أم جما لٍ تَنْثَني وَتَفتْكِرْ

تحملُ حِملَ جملٍ أو جملين من حَجَرْ

حُسنَى: ثُم
صاحبة الرؤيا:

إذا فــوقَ الــطــريـــ ــقِ ثَمّ شيـخٌ قد ظَهَرْ
كــأن نــورَ وجــهــهِ تحت العمامة القمرْ
قد طرحَ الأحمالَ عنــ ــها فَجَرتْ على الأثرْ
حـتـى لـبـثـتُ سـاعـةً عجبتُ كيف لم تَطِرْ
سمعتِ يا شيخةُ رؤيايَ؟

الشيخة:

سمعتُ العَجبا
رؤيا كأنها الفَلَقْ تبارك الذي خلقْ
أم جمالٍ أُعِينَتْ وزال عنها العناءُ
وذلك الشيخ قطبٌ على يديه الشفاءُ

أخرى:

أم جـمـالٍ بـخـيـرٍ قد أُلْقِيَ الحِمل عنها

(يظهر الدكتور مقبلًا)

إحدى الزائرات: ماذا؟ من الداخل؟ من يا تُرى؟
أخرى: هذا هو الدكتورُ عبدُ السلامْ
الأولى: أبعدَ هذا ... القطبُ يؤتَى به؟

الثانية: وأيُّ قطبٍ؟
الأولى: هلْ نسيتِ المنامْ؟
أخرى: ماذا تقول؟ تظنُّ هذا القطبَ
الأولى:

ذاك هـو الـعَـمَـى
هذا الطبيبُ مُطربَشٌ   والقطبُ كان مُعمَّمَا
شتَّانَ بين القمرِ الـ   ـمـنـوِّرِ الـمـلـمِّـحِ
وبين تيسِ الجبلِ الـ   ـمفلفَلِ المملَّحِ
ما تلك فوق عينه؟

الثانية:

زجــاجــةٌ مُــدَوَّرَهْ
تَقِيهِ ضوءَ الشمسِ أو   تـمـنـعُ عـنـه الـغَـبَـرَهْ
كـأنـهـا غـمـامـةٌ   تـحـجـب عَـيْـنـي بقرة

الأولى:

ولِـمَ تَـغَـطَّـي بـالـثـيا   بِ السودِ رأسًا لقدم؟
كـأنـمـا أُخـرجَ مـن   زكـيـبـةٍ مـن الـفَـحَـمْ

الثانية:

سود الثياب بمصر   صارت ثيابَ الإمارهْ
فـلا تَـرَيْـنَ بـيـاضًـا   إلا على شيخ حارهْ

الأولى: وما بِفِيهِ؟
الثانية: اسألِي حُسنَى
حُسنَى: بِفِيهِ «تُوسكنَهْ»
الأولى:

مسكينٌ الدكتورُ قد أصبح فُوهُ مدخنَه

الدكتور: العوافي أمّ الأفندي العوافي
حُسنَى: هي في غَشْية ونومٍ عميقٍ
الدكتور: كيف حُسنَى؟ ما حال أَمِّ جمالٍ؟
حُسنَى: هي في الكَربِ خفَّفَ الله عنها
الدكتور: ودوائي؟
حُسنَى:

لـمـا تـعـاطَـتْـهُ نـامـت
نومةً لم تقُمْ إلى اليوم منها ما بها يا سيدي؟ ما داؤها؟

الدكتور: تُخمةٌ من أَكْلَةٍ ذاتِ دَسَمْ
حُسنَى:

تخمةٌ؟ لا سيدي الدكتور ... لا نحن لا نعرف في البيت التُّخَمْ

الدكتور: إذن بها ضعفٌ
حُسنَى: ومن أين جاء الضعفُ؟
الدكتور: من قلَّةِ ما تَطْعَمُ
حُسنَى: وما يقوِّي الضعفَ؟
الدكتور: الأكل يا حُسنَى

حسنى: وكيف الأكلُ؟ أين الفمُ؟
الدكتور:

رحم الله زوجها   إنه كان صاحبي
كان في كل منزل   وطريق بجانبي

(ثم ينتقل الدكتور فجأة لمخاطبة إحدى الزائرات)

«خضرةٌ» أنت هنا؟   ما تصنعين يا ابنتي؟

خضرة:

في كل ساعةٍ أجِي   أسألُ عن سيدتي

الدكتور:

و«حسنٌ» زوجُك ما   يـــصـــنَـــعُ؟

خضرة:

في البيت انطَرحْ
منذ تناول العلا   جَ بالأواني ما سَرَحْ

الدكتور: وما له لم يَجِئني؟
خضرة: بأيِّ رجلٍ يَجيكَا؟
الدكتور (إلى مرجانة)**:** ما ذاك يا بيضاء ماذا أرى؟
مرجانة: تورَّمَ الخدُّ من الدُّمَّلِ

الدكتور (يخرج مشرطًا من جيبه):

هاتي أريه ... اصبري ساعةً   أفـــــتـــــــحُـــــــهُ

مرجانة: لا، يفتحُ الله لي
أخرى: دَعِيهِ يفعلْ تستريحي
أخرى: اقعُدِي حَذارِ «مرجانة» أن تفعِلي

(يدخل جمال)

الدكتور: من ذاك؟ أنت جمالٌ؟
جمال:

من؟ سيدي الدكتورُ؟
كيف وجدتَ جدتي؟

الدكتور: تسير نحو العافَيهْ
جمال: وكيف هي من ثلاثٍ لم تُفِقْ؟
حُسنَى:

بل إنها من أربع كما ترَى
وارحتماهُ لك يا سيدتي   ولطف الله بنا فيما جرَى

جمال:

حُسنَى أقلِّي الحزنَ ... يعفو الله عن   أزْيـدَ مِـن هـذا ويَـشـفِـي أكـثـرا

الدكتور:

دعَا.. لا تخافا ولا تَحزَنا   فما الأمر لليأسِ بالصائرِ

وكم فاقدِ الرشدِ لا غائبٍ ... وورائي تركتُ ... ولا حاضرِ
وآخر لا راقدٍ في الفراشِ ... إذا قلَّبوه ... ولا ساهِر

حُسنَى:

أمرضاك كلُّهمو هكذا؟ ... وهل يستفيقون يا سيدي؟

الدكتور:

تقوم عليهم يدي بالشفاء ... قيامَ المسيحِ على المقعدِ

حُسنَى (لجمال):

وأنت سيدي جمالُ قَوِّنِي ... علّمْنِي العزاءَ والتصبُّرا

زائرة: «مرجانةُ» انظريهما
الأخرى: يحبها
الأولى: تحبُّهُ
الثانية:

وبيديه قلبُها ... وفي يديها قلُبهُ

«يخرج جمال، وتخرج مرجانة وبعض الزائرات، وتدخل إحدى الجارات تدعى زهرة»

زهرة: ما حال أمِّ الأفندي؟
حُسنَى:

سيدتي في العذابْ
مضى عليها أربعٌ ... في كُربةٍ لا تُفْرَجُ

في النزعِ لا وعيَ لها والسرُّ ليس يخرجُ

زهرة: لديَّ خاطرٌ خطَرْ
حُسنَى: ما ذاك؟
أخرى: ماذا؟ ما الخبَرْ؟
زهرة:

أصغيْنَ … مما جرّبوه في الأسرْ صوتُ «الفلوسِ» عند رأس المحتضَرْ
إن كان في دنياه بالبخل اشتهرْ يسمعها فينطفِي على الأثَرْ
وكلما تأخرتْ عنه انتظرْ

حُسنَى:

إذن قُومي أريحيها إذن من هذه الحالَهْ

زهرة: وأين الشاشُ والفضةُ؟
حُسنَى: من مالِيَ يا خالهْ
زهرة:

مالُكِ أو مالُ سوا كِ كلُّ مالٍ قد حضَرْ
القصدُ أن يَقْرَع صَو تُ المالِ سمعَ المحتضَرْ
«حُسنَى» اسمعي لِيَ أصغِي هاتي ملاءَةَ فرشِ
والآن فليُلق كلٌّ منكنَّ فيها بقرشِ

(ثم لحُسنَى)

«حُسنَى» خُذِي من طرَفٍ

(ثم الأخرى)

وأنتِ من ذاك الطرَفْ

(للجميع)

وأنا أبقَى ها هنا

(لصبي موجود)

وأنــت قُــم خُــذْ لا تَــخَــفْ

والآن فـلـنـقـمْ إلـى الـفـراشِ ومثلَ صُنِعي فاصنعوا بالشاشِ

(يدخل جمال)

جمال: ما الحال حُسنَى؟ وكيف أمستْ؟
حُسنَى: في النزعِ والكَرْبِ لا تزالُ

«يذهبون بالشاش حتى يقتربوا من فراش المحتضرة، وهم ممسكون بجهاته الأربع، فتخرج الأولى نقودًا وتلقيها في الشاش، فيعمل الباقون مثلها ويتقدم «جمال» فجأة ويخرج من جيوبه نقودًا، ويقول»

جمال:

وأنـا أيـضًـا أشـتـرِكْ هاكِ خُذِي ما أمتلكْ
وضعتُ كل فضتي كي تستريحَ جدتي

«يلقي بالنقود» «الأربعة يهزون الشاش بالنقود بينهم، وتقول الأولى مخاطبة المحتضرة»

الأولى:

امضِي ولا تُفَكِّرِي في المالِ وانسَيْ حديثَ القرش والريالِ
أنتِ وما ملكتِ للزوالِ
هزُّوا معي ... هزُّوا معي يا أيها الروحُ اطلعي
إلى النعيمِ الأوسَعِ
وديعة الله اذهبي امضي ولا تُعذَّبي
لله عُودي والنَّبي

إحدى السيدات (بعد وفاة الجدة):

قد انقضى الأمرُ قد خرجَ السرُّ
«حُسنَى لكِ الأجرُ»

حُسنَى (لجمال):

الصبرَ ... واخرجْ سيدي جمالُ لمثلِ ذا لا يصلحُ الرجالُ

المنظر الثاني

«في منزل المرحومة الست نظيفة. تظهر «حُسنَى» في ثوب أسود».

حُسنَى (لنفسها):

عَيني أحقٌّ أنني في منزلي؟ لا، كان لي فوهبتُهُ لجمالِ
غاليتُ في شَغَفِ الفؤادِ بحبِّهِ حتى وهبتُ له الثمينَ الغالي
أعطيتُه ما كان أصبح في يدي من مال جدته فليس بمالي
لم يرضَ قلبي أن أعيش سعيدة ويعيشَ في بؤسٍ ورقة حالِ
أتُراه يقدرُ خدمتي ومحبتي أو لا يمرُّ له الصنيعُ ببالِ؟

رحمة الله علَى سيدتي   وسقى الله ثراها وجزاها
حرمَتْني الشاشَ حتى ذهبتْ   فكسَتْني الخزَّ في الموتِ يداها
وحَمَتْني الماءَ حتى احتجبتْ   فسُقيتُ الشهدَ من فيض نداها
صار لي من بعدِها منزلُها   والدكاكينُ وآلتْ ضَيعتاها
ثروةٌ قد نهض الجوعُ بها   ومشى الحرمانُ فيها فبناها
وهبتْ لي كلّ ما قد ملكتْ   لم تَدَعْ من ذاك شيئًا لفتاها

(بعد لحظة)

لا ... ذاك مالُ جمالٍ   تركتُهُ لجمالِ
وعدتُ ما كنتُ مِن قَبْـ   ـلُ، فوطتِي هي مالي
أجل أنا الخادم والطاهِيَهْ   وما أنا السارقةُ الباغِيَهْ
ولا على الناس طفيليَّةٌ   أجعل أموالَهمو مالِيَهْ
سمعتُ حديثَ البخلِ حتى صحِبتُهُ   زمانًا أراه كلَّ حينٍ وأسمعُ
يروح ويغدو بين عينيَّ صورةً   ويأتي حِيالي بالحياةِ ويرجِعُ
سيدتي وبخلُها   في «الخُطِّ» سارا كالمثَلْ
وانتقلتْ وذكرُها   بالبخلِ فيه ما انتقلْ
يرحمها الله فما   أنسى لها تلك الجُمَل
في غضبٍ عند الحوا   رِ واضطرابٍ و«زعَلْ»
وما اختلفنا مرةً   في حَمَلٍ ولا جَمَلْ
لكنْ لأجلِ الثوم كا   نَ الخُلْفُ، أو حول البصلْ
ولم نكنْ من الدَقيـ   ـق ننتهي ولا العسَل
يرحمها الله وإن   لم تأتِ يومًا بحسَن
عاشت بثوبٍ واحدٍ   كالمَيتِ عاش بكفَن
أمَّا أنا ... فالشاش أو   ما دون ذاكَ في الثمَنْ
وبذلتي وفوطتي   طال عليهما الزمَنْ
وأجرتي عشرون قر   شًا مع كثرةِ المهَنْ

البـــئـــرُ لا أبـــرحُـــهـــا خــــارجــــةً وداخــــلَــــهْ
صـــاعـــدةً كـــالـــدلـــوِ كــــ ـــــلَّ ســـاعـــةٍ ونـــازلـــهْ
طـــبَّـــاخـــة أصـــنـــع مـــن لا شـــيء شَـــيـــئًـــا نـــأكـــلُـــهْ
وأنـــحـــنِـــي عـــلـــى الـــبـــلا طِ كـــلَّ حـــيـــن أغـــســـلُـــهْ
وكــــلُّ دكــــانٍ عــــلــــ ـــــيَّ أجـــرُهـــا أحـــصِّـــلُـــهُ

(تدخل زهرة)

زهرة: العوافِي يا ابنتي
حُسنَى:

مـــــن جـــــاءنـــــا؟ خالتي زهرةُ؟ أهلًا مرحبا
ادخـــــــــــلـــــــــــي

زهرة (لنفسها في حسد وحقد):

يـا لـك مـن طـبَّـاخَـةٍ نثَر الحظُّ عليها الذهبا

(ثم لحُسنَى)

يا هَناكِ المالُ حُسنَى

حُسنَى: مال من؟
زهرة (لنفسها): هي تُخفي
حُسنَى: بلَّغوكِ الكَذِبا
زهرة:

عَجَبًا ... أنت إذن لم تَرِثِي مــــال مــــولاتِــــكِ؟

حُسنَى:

لا. لا. عَـــجَـــبـــا
أنا يا خالةُ لستُ لِصَّةً لعنَ الله الغِنَى الُمغْتَصَبا

زهرة:

إن للجيرانِ «حُسنَى» ألسُنًا تَهذِي طوالا

حُسنَى: ما الذي قالوه؟
زهرة:

قـــــالـــــــوا أنتِ جَرَّدتِ جمالا

حُسنَى:

كذبوا والله لم ألــ مس له باليدِ مالا

(تخرج «زهرة» وتتبعها «حُسنَى» ويدخل «جمال». تدخل «حُسنَى» فترى جمالا)

حُسنَى: مَن ها هنا؟ أهْوَ جمال سيدي؟
جمال:

أجل، أنا الغريبُ في بيتِ أبي
أنا الذي قد سلبوه مالهُ لم يبقَ من مالِيَ ما لم أُسْلَبِ
قد ضربَتْني في الحياةِ جدتي وفـــي الـــمـــمـــاتِ

حُسنَى:

ألـف لا، لـم تُـضْـرَبِ
اجلسْ. تفضلْ. استَرِحْ   هَـوِّنْ عـلـيـك سـيـدي

جمال:

لم يبقَ من مالِكِ يا   جدةُ شيءٌ في يدي
ضَيَّعْتِ أمسي ثم لم   يَكْفِ فضيَّعْتِ غدي
حُــــســــــنَــــــى

حسنى: جمال
جمال: افترقنا
حُسنَى:

كيف؟ لا أبدا

جمال:

تغيَّرَ الأمرُ من حالٍ إلى حالِ
أنتِ الغنيةُ «حُسنَى» والفقير أنا   المال مالُكِ منذُ اليومِ لا مالي

حُسنَى:

المالُ يا جمالُ؟ الفقُر؟ الغِنى؟   ماذا تقول سيدي؟ ماذا جرى؟

جمال:

ألـيـس حـرمِـانـيَ لـونًـا مـتـقـنًـا   طـبـخـتـه أنـت وجـدتـي مـعًـا؟
«حُسنَى» دَعِي الخُبْثَ ولا تَجاهَلِي

حُسنَى:

أتعلم الخبثَ عليَّ والرِّيا؟
حُـــــرمــــتَ مِـــــمَّ؟

جمال: من تراثِ جدتي
حُسنَى: إذن من الوارث
جمال: أنت لا أنا
حُسنَى:

أنـا أراك سـيدي تـهزأ بـي   كفى جمالُ سَخَرًا مني كفَى
أُقسمُ هذا الأمرُ لم أعمَلْ لَهُ   وإنـنـي آخِـرُ مـن دَرَى بِـهِ

جمال:

أمـا رأيـتِ كـاتـبًا مـعـمَّـمًـا   وشاهدَيْنِ يعملون ها هنا؟
وشيخةً تُملِي عليهم سخفَها   تَحْرِمُ ذا قُربى وتعطِي أجنبا
كعينِ ربوةٍ تـخطَّى خيرُها   إلى الوهاد مُستحقَّاتِ الرُّبى

حُسنَى:

جـمـالُ سـيدي تـعـالَ نـحـتـكمْ   إلى الحقوقِ والصوابِ والنُّهَى
هَبْ ما تقول يا جمالُ قد جرى

جمال: لقد جرى
حُسنَى:

هـاتِ الـكـتـابَ فـامـحُ مـا   تـشـاءُ، واثـبـتْ مـا تَـشَـا
بَـدِّلْ وغَـيِّـرْ فـي كـتـا   بِ وَقْـفِـهـا كـمـا تـرى
أنـت غِـنـايَ إنْ غـضـبـْ   ـتَ ما انتفاعِي بالغنى؟

أمضي فأبغي سيدًا أو أبتغِي   سـيـدةً أطـهـو لـهـا

جمال: ماذا أرى؟ تبكينَ حُسنَى؟ مِمَّ؟
حُسنَى: لا
جمال: كَفَي ابنتي كفي بُكا
حُسنَى:

خُذْ مالَها وخلِّني أَعِشْ   كما كنتُ أعيشُ أوَّلا

جمال:

بحياتي قُولِي الحقيقةَ حُسنَى   أتـحـبّـيـنَـنِـي؟

حُسنَى: أجلْ، مِلْءَ قلبي
جمال: مثلَ حُبي؟
حُسنَى: جمالُ أحببتَنِي اليومَ؟
جمال:

قـديـمٌ وحـقّ عـيـنـيـكِ حُـبِّـي
كنتُ أهواكِ طفلةً تملئينَ الـ   ـبَيْتَ والحوش من صياحٍ ووثْب
كـنـت أهـواكِ طـفـلـةً   فـي الـكـوانـيـنِ نـافـخـهْ
كـنـت أهـواك خـادمًـا   كـنـت أهـواك طـابـخـهْ

(ثم يمسك يدها ويقول)

كم اشْتَهيْتُها يدًا   ما فرغَتْ من العمَل
كنت أراها كَيَدِ الـ   ـمَلْكَةِ أهلًا للقُبَلْ
وأشتهِي رائحَةَ الثُّـ   ـومِ عليها والبصلْ

حُسنَى: سيدي أنت خطبتَ؟
جمال: لا
حُسنَى:

نـــــــعـــــــــــم بل خَطَبْتَ امرأةً ذاتَ يَسارْ
وأبـوهـا كـابـرٌ ذو لـقـبٍ ولـه زرعٌ وضـرعٌ وعَـقـار

جمال:

وما تريدين «حُسنَى»؟ أ أنفضُ اليد منها؟
الــلــه ربُّ جــمــالٍ يُـغـنـيـهِ عنكِ وعنـهـا

(امرأة تريد الصعود)

المرأة: أ أحدٌ في المنزلِ؟
جمال (من أعلى)**:** مَن هذه؟
المرأة:

أمٌّ «عــــلــــي»
أنتَ هنا يا سيدي؟

جمال: أجل، تفضَّلي ادخلي
أم علي (تصعد)**:** دستورَكم
جمال:

تــــفـــضَّــــلِــــي لا أحدٌ في المنزلِ

حُسنَى (لجمال): من تلك من؟
جمال:

امـــــــــــــرأةٌ مِن بيتِ أصهارِي الجُدُد
صـديـقـةٌ قـديـمـةٌ في كل أمرٍ تـجـتـهـدْ

حُسنَى: ماذا تُريد يا ترى؟
جمال:

الآن نـعـلـم الـخـبَـرْ
أمـا أنـا فـلـيس لـي في بنتِ إنسانٍ وَطَرْ

حُسنَى: كرهتَ سيدي الغنى؟
جمال: أجـل
حُسنَى:

وهكذا أنا

(ثم وهي خارجة)

لا يأخذُ الإنسانُ مِن دُنـيـاهُ إلا الـكَـفَـنَـا

(تدخل أم علي)

جمال:

يـا مـرحـبًـا أمَّ عـلـي ماذا حملتِ من خبرْ؟

أم علي:

كنتُ رسولَ الصفوِ والـ ـيومَ أتيتُ بالكَدَرْ

جمال: ماذا؟
أم علي:

أصِخْ يا سيدي أمُّ العروسِ جُنَّتِ

جمال: كيف؟ ولِمْ أمَّ علي؟
أم علي: تريد فسخَ الخِطبةِ
جمال: كذا أنا
أم علي: وأنت أيضًا؟
جمال:

تلك كانت نِيَّتِي
قد سمعتْ لا شكَّ أنّـ ـي قد خَسِرْتُ ثروتي؟
قد علمتْ بأنني قد حَرمتني جدتي؟

أم علي: أجل
جمال:

فقالت مفلسٌ ليس يليق لابنتي

أم علي:

وهذه «الشبكة» يا سيدي انظر. تأمَّلْ. خاتَمٌ لا يُعابْ
وهذه قيمةُ ما جاءنا من «سَبَتِ» النقلِ وغالي الثيابْ
خمسون خُذْها. عُدَّ. مِنْ عادتي

جمال (يأخذها): أن تَغْلَطِي يا خالتي في الحسابْ

(ثم ينتهي من العد)

أم علي: هي خمسون سيدي
جمال:

هـذه خـمـسـةٌ لَـكِ
اذهبي. لستُ ناسيًا أَبَدَ الدهرِ فضلَكِ

(تخرج أم علي ثم تدخل حُسنَى)

جمال (بعد أن يراها):

رَبَّاهْ ... ما ذاك؟ تلك حُسنَى؟ مــن أيــن حُــســنَــى؟

حُسنَى:

مِــن الـــســتـــارَهْ
سمعتُ ما قالت العجوزُ ولـم تَفُتْنِي لَها عِبارهْ
خُـــذْ ســـيـــدي

جمال: ما ذلكا؟
حُسنَى:

ذلك وقفُ أسرتِكْ

(تناوله ورقة)

كانت شروطُ الوقفِ لي فـاسْـتُـعْـمِـلتْ لـخدمـتِكْ

وما ظـنـنـتُ ثـروتـي   مـا كـان غـيـرَ ثـروتِـكْ
ذاك اتـفـاق قـد جـرى   بـيـنـي وبـيـن جـدتِـكْ
مـا أرصـدتْ لـجـهـتـي   حـوَّلْـتُـهُ لـجـهـتِـكْ

جمال:

جـدتـي فـي مَـمَـاتِـهـا   بَـرَّةٌ بـي ومـحـسـنَـهْ
فـعـلـتْ فـيَّ فـعـلـةً   نـبَّـهـتـنـي مـن الـسِّـنَـهْ
سـاء فـي الـمـال مـذهـبـي   فـرأت أن تُـحَـسِّـنَـهْ
وأنتِ «حُسنَى» أتحبينني؟

حسنى:

أ أنـتَ فـي ذلـك تـرتـابُ؟
قد كنتَ دنيا مغلقًا بابُها   دُونِي ... فكيف انفتحَ البابُ؟

جمال:

الآن «حُسنَى» أَقْبلي   نُجْرِ حديثَ ما مضى
كيف وجدتِ جدتي؟   وما مكاني عندها؟

حُسنَى:

تـحـبُّك الـحبَّ الـذي   كانت تـحـبُّهُ ابـنـهَا
وتكتَسِي إن غبتَ عنـ   ـها أو بَعُدْتَ الوَلَهَا
تـكـاد لا تـسـمـعُ إنْ   غِبْتَ ... تكادُ لا ترى

جمال:

فما لها كانت تُذيـ ـقُنِي الجفاءَ؟ ما لَها؟
فلو سألتُها العَمَى ضَنَّتْ عليَّ بالعَمَى

حُسنَى: سيدتي بخيلةٌ
جمال:

أعلمُ يا حُسنَى بِذَا
وهي إذا قيستْ إلى جَدِّيَ، كالغيْثِ نَدَى
علَّمها جَدِّي ... وكا ن أجمدَ الناسِ يدا

حُسنَى:

وأنا أيضًا سيدي أُصِبْتُ بالبخلِ أنا!

جمال:

حنانيكِ، ماذا قلتِ «حُسنَى» أخفْتِني أقدَّرَ ربِّي أنْ يطولَ عذابي؟
أأعداكِ حُسنَى بُخلُ جَدِّيَ. إنني إذنْ من مصاب صائرٌ لُمصابِ

حُسنَى:

لا تَخْشَ بخلي سيدي ... لستُ مَنْ تبخلُ في حقٍّ ولا واجبِ

جمال:

ويحِي! أرميك بالبخـ ـلِ؟ قَبَّحَ الله ظنِّي
وقد رأيتُ بعيني وقد سمعتُ بأذني
فأنتِ أرجعتِ مالي وكان قد ضاع مني

فـمـا سـوى الـلـه «حُـسـنَـى» يَـقْـدِرُ يـجَـزيـكِ عـنـي
ستجمعنا الدنيا غدًا ... كيف يا تُرى يكونُ طعامي أو يكون شرابي؟

حُسنَى:

سنشرب الماء في أوانٍ غـالـيـةٍ حـلـوةٍ نـضـيـدَهْ
وبـيـرةً كـل ظـهـرِ يـومٍ وتوضع في الثلجِ والبرودَهْ

جمال: والأكل؟
حُسنَى:

مـا شـئـتَ مـن شـواءٍ ومن دفينٍ ومن عصيدَهْ

جمال: نسيتِ «حُسنَى» ما ليس يُنْسَى
حُسنَى: ما ذَلك؟
جمال:

«الباميةُ» الجديدهْ
هذه «الشبكةُ» التي أرجَعَتْها المغَفَّلَهْ
خاتمٌ قد وضعتُه في البنانِ المُقَبَّلَهْ

(يلبسها الخاتم ويقبل يدها)

حُسنَى: والمهر؟
جمال (يشير إلى النقود المردودة)**:**

تـلـكَ هـي لَـكْ أعْطَى جمال ما مَلكْ
ما المالُ مهرًا للمَلَكْ

حُسنَى: ومهرُكَ سيــدي؟
جمال:

مـــهـــرِي؟ تُـــرانـــا تزوجنا على دينِ النصارَى؟
دَعِــي حُـسـنَـى الـمِـزَاحَ

حُسنَى:

أقُـــــول جِـــــــدًّا ولِمْ تأبَى؟ أتحسبُ ذاك عارا؟
وكم من مسلماتٍ سُقْنَ مهرًا وإن دُعِـيَ الأبـاعـدَ والـعَـقـارا

جمال:

إذن هاتي اذكرِي مَهري وسـمِّـيـه عـلـى قَـدرِي
فـقـد تـعـطـيـنني قـرشًـا وقـرشـيـن ... ومـا أدرِي

حُسنَى:

بل الدنيا وما فيها وما جلَّ عن الحصْرِ
جمالُ انزل إلى البئرِ تجدْ مهرَكَ في القعرِ

جمال: مَهْرِيَ فِي البئرِ؟
حُسنَى: أجــلْ
جمال:

كيف هوَى؟ كيف نزَلْ؟
أنْـزِلُـهـا؟ هـذا خَـبَــلْ!

حُسنَى:

ننزلُ إن شئتَ معا   لكي أريكَ الموضعا
هناك تُبصِرُ العَجَبْ

جمال: ما ذاكَ؟
حُسنَى:

صُندوقُ خَشَبْ
ممتلئ من الذهبْ

جمال:

هناك الذهبُ الحلوُ   إذن طِيرِي بنا طِيرِي
قبلتُ المهرَ يا حُسنَى   إلى البيرِ إلى البيرِ


هنداوي